﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف: 86]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

شـتّـانَ بين الجـازِعِ والضّارِعِ، ومَن شكا إلى الله كفاه

ولمّا تشوّفتِ النّفسُ إلى ما كان عنه بعد ما رأى مِن غِلظة بَنيه، شفَى عيَّها بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ﴾ أي: لا أزالُ كذلك لأنّه مِن صفات الكمال للإنسان، لدلالتِه على الرّقّةِ والوفاءِ، وإنّما يكونُ مذمومًا إذا كان على وجه الشّكايةِ إلى الخلْقِ وأنا لا أشْكو إلى مخلوقٍ، إنّما ﴿أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، المحيطِ بكلّ شيءٍ علمًا وقدرةً تعرّضًا لنفحات كرمِه، لا إلى أحدٍ غيرِه[1].

أي: لمّا ذكَرَ في الآيةِ السّابقة عِتابَهم له وإشفاقَهم عليه فيما حسِبوه جزَعًا منه، أخبرَ هنا بما يردُّ هذا الحُسْبانَ، بأنّ هذا ليس جزَعًا أو قِلّةَ تصبُّرٍ - حاشاه وهو نبيُّ الله - بل شَكوى إلى مَنْ يسمعُ النّجوَى ويجيبُ المُضطرَّ إذا دعاه.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَشۡكُواْ﴾: أصلُ (شكو) يدلُّ على توجُّعٍ من شيء. ويقال: شَكَوْتُهُ شَكْوًا وشَكاةً وشِكايةً. وشَكَوْتَ فلانًا: أخبرتَ عنه بسوءِ فِعله بك (عَبَّرتَ عن ألمك ممّا فَعَل بك)، والمرادُ هنا: الاستغاثةُ باللّه واستنزالُ فَرَجِه ولُطْفِه، لكشْفِ ما نزلَ به وببَنِيْهِ من فقْدٍ وسوءِ حالٍ[2].

2) ﴿بَثِّي﴾: أصل البَثِّ: تفريقُ الشّيءِ وإظْهارُه، كبَثِّ الرّيحِ التُّرابَ، وبَثِّ النَّفْس: ما انطوتْ عليه مِنَ الغمِّ والسّرِّ، وسمّيَ بثًّا لكونِه مبثوثًا منثورًا في أنحاء النّفْسِ وتلافيفِ العقل. والبَثُّ: الحزنُ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 4/90.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شكو).

والغمُّ والمرضُ الشّديدُ المجتمِعُ في النّفْس الذي يضطرُّ صاحبُه مِن شدّته إلى أنْ يُفْضِي به إلى أصحابِه. وهذا (الإفضاء) بثٌّ ونشْرٌ وإذاعةٌ (والعامَّة تقول: فَضْفَضَ)[1]، والمرادُ هنا: الهمُّ العظيمُ والغمُّ العميقُ الذي أحاط به بسببِ يوسفَ عليه السلام وأخيه.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قال يعقوبُ عليه السلام مُجيبًا لهم: ذلك الّذي تلومونَنِي فيه، إنّما هو شكوى ونجْوَى بما يَعِزُّ عليَّ إظهارُه لغير الله، مِنَ الغمِّ الطّويلِ والهمِّ القديمِ والحزنِ - الّذي يَغْلِبُني - على يوسفَ وأخيه، ذلك الفُقدانُ بعدَ الفُقْدانِ، لا أشْكو به إلّا لله الّذي أعلمُ منه سُبحانه، وأعلمُ مِن لُطفِه ورحمتِه وعِوَضِه ما لا تعلمونَه، فتُسارعون بإنكارِه والتّعجيبِ منه.

يُغالِبُ يعقوبُ بلاءَه، بما يَعلَمُه من رحمةِ الله التي غلَبَتْ عِقابَه

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

### نكتةُ فصْلِ الآيةِ عمّا قبلَها:

جملةُ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي﴾ استئنافيّةٌ بيانيّةٌ، كأنّه قيل: فماذا أجابَهم بعدَ أنْ خوّفوه بعاقبةِ ذِكْرِه ليوسفَ؟ فقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2].

الشّكوَى للخالقِ عُبوديّةٌ، والضّارعُ إليه لا يَخيبُ

### بَلاغةُ القصْرِ بالأداةِ ﴿إِنَّمَآ﴾:

﴿إِنَّمَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، أداةُ قصْرٍ وتعيينٍ، ولا يُفارقُها التّوكيدُ والمبالغةُ حيث وقعتْ[3]، وتفيدُ هنا قصرَ الحُكْمِ على الشّيءِ، أي: قصرَ شَكواه على الله وحدَه، وهو قصْرُ تعيينٍ، أي: تعيينُ جهةِ شكواه بأنّها لله وحدَه، وفائدتُها: إثباتُ ما بعدَها ونفيُ ما سِواه، فيعقوبُ عليه السلام أثْبَتَ الشّكوى لله وحدَه، ونفاها عمّن سِواه، وخاطبَ أبناءَه بهذا التّركيبِ ﴿إِنَّمَآ

الشّاكي إلى الله مُتخفِّفٌ بضَراعتِه، فلا يَلتمِسُ تسْلِيةً من أحدٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بث، بثث).
(2) صافي، الجدول: 13/52.
(3) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 2/500.

﴿أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ دونَ غيرِه؛ لأنّهم لا يُنكرون شكايتَه إلى الله، ولا ينكرونَها عليه، فهو فقط أرادَ تنْبيهَهم إلى ذلك بطريقٍ يقطعُ لوْمَهم له على اجترارِ الماضي بذكر يوسفَ، أو كانوا يَظنّون أنّ أسفَه على يوسفَ مِنَ الشّكايةِ المذمومةِ، فخاطبَهم بـ ﴿إِنَّمَآ﴾ تنزيلًا لهم منزلةَ من يعلمُ ولا ينبغي أن يفوتَه عِلْمُ ذلك، بأنّ الشكايةَ لا تكونُ إلا لله، ولذا لم يحتجّ معهم إلى أسلوبِ النّفي والاستثناءِ الذي يكونُ المخاطَبُ فيه جاهلًا أو مُنْكِرًا، فلم يقل: (لا أشكو إلا لله)، وفي تركيبِ ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تعريضٌ بهم في نُكرانِهم عليه ذِكْرَ يوسفَ، بأنّ هذا ليس شكايةً إليهم، فاعتراضُهم ليس في محلّ الذّمِّ، بل هي شكايةٌ محمودةٌ؛ إذ هي لله، وحيثما كانت الشّكوى لله وحدَه فهي عبادةٌ وضراعةٌ؛ لأنّها صورةٌ مِن دعاءِ المُضطرِّ، وهو أخصُّ العبادة التي يُحبّها الله، ويكونُ في هذا إيماءٌ منه إلى أنّ ابْيِضاض عينَيْه النّاشئَ عنِ التّذكّرِ النّاشئ عنِ الشّكوى صار أثرًا جسديًّا ناشئًا عن عبادةٍ مثلِ تفطُّرِ أقدامِ النّبيّ ﷺ مِن قيام الليل، فقَابَلَ لَوْمَهم له بلومٍ لهم وتعريضٍ بهم وتعليمٍ بما لم ينتبهوا إليه[1].

### نُكتةُ التّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿أَشۡكُواْ﴾:

مَـــنْ أدامَ الاستغاثةَ باللهِ، أغاثَه اللهُ، وحقّقَ له مُرتَجاه

صيغةُ المضارعِ في قوله تعالى: ﴿أَشۡكُواْ﴾ تفيدُ التّلبّسَ وعدمَ الانقطاع، وهي تؤكّدُ حمْلَ الشّكوى على معنى الضّراعةِ والدّعاءِ وطلبِ الاستغاثةِ مِنَ الله، كما تقرّرَ.

وتومِئ صيغةُ المضارعة إلى معنىً آخرَ أيضًا وهو أنّه ستستمرُّ شَكواه لاستمرار سببِها، ولن تنقطعَ إلّا بانقطاعِ سببِها، وسببُ الاستمرارِ: فُقدانُ يوسفَ عليه السلام، وسببُ الانقطاعِ: وُجدانُ يوسف، مع

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/44، وفاضل السّامرائي، معاني النّحو: 1/330.

ما في لفْظِ المضارعةِ في ﴿أَشْكُواْ﴾ مِن تقابلٍ مَعنويٍّ بديعٍ مع لفظِ المضارعةِ في ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ فما دام يذكُرُ سيظلُّ يَشكو.

### دَلالةُ تسْميّةِ الهَمِّ الثّقيلِ بالبَثّ:

(البَثُّ) يَصِفُ حُـزنًـا يُـلاحِـقُ الإنسانَ ويُحيطُ به

(البَثُّ) في قوله تعالى: ﴿أَشْكُواْ بَثِّي﴾ هو إثارةُ الشّيء وتفريقُه، وهو مصدرٌ يُستعملُ في الغمِّ المُطبِقِ على النّفْسِ، فلا خلاصَ منه إلّا بإثارتِه وتفريقِه ونَشْرِه، وكأنّهم لاحَظوا في الغَمّ حين يَهجِمُ على النّفْسِ عزْمًا واجتماعًا وقوّةً وثِقَلًا، فلا يُزالُ إلا بتفريقِه وتفكيكِه ونشْرِه ونَثْرِه وبَثِّه، فيزولُ عنِ المغموم، ولا يُصيبُ غيرَه لأنّه تفكَّكَ، فأسْمَوه بثًّا تفاؤلًا بانفراجِه، كما أَسْمَوا اللّديغَ سليمًا، والمرضَ عافيةً، والرّواحِلَ قافلةً، والصّحراءَ مَفازَةً، مِن باب التّسميةِ بالضّدّ الذي يُتوقّعُ المآلُ إليه تفاؤلًا، فلعلّه مجازٌ مرسلٌ بعلاقةِ الأيلولةِ.

### معنَى المصدرِ في لفظِ (البثّ):

أصعبُ الأحزانِ، هي الّتي فاضَتْ بالبَثِّ

البثُّ في قوله تعالى: ﴿أَشْكُواْ بَثِّي﴾، إمّا بمعنى الفاعلِ، أي: الباثّ؛ لأنّ الغمَّ يبُثُّ الفِكْرَ ويفسخُ العزمَ، أو بمعنى المفعول؛ لأنّه مَبْثُوثٌ مِن صاحبِه، بتفريقِه وتوزيعِه على مَن يُعينُه عليه، ويأخذُ بيدِه على إزالتِه[1].

### دَلالةُ إضافةِ البثِّ إلى ضميرِ المُتكلّم:

لكلِّ امرئٍ حظُّه مِـنَ الـبـثِّ، ولا تَخلو الحياةُ مِن كدَرٍ وآلامٍ

إضافةُ البثِّ إلى ضمير نفْسِه في قوله: ﴿أَشْكُواْ بَثِّي﴾ لتعريفِ البثِّ، والدّلالةِ على العهديّة، أي: بَثُّه هو، فالإضافةُ تنفي عمومَ الجنسِ، وتُثْبِتُ خصوصَ النّوع، أي: نوعٌ منَ البثّ، وضربٌ مِن ضروبِ جنْسِه، فهو بثٌّ جُزئيٌّ بحَسَبِه هو.

### نُكتةُ الجمْعِ بين البثِّ والحُزنِ:

البثُّ هو الهمّ الثّقيلُ وهو أشدُّ الحزن، لانبِثاثِه وتفرُّقِه وتوزُّعِه

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/42.

في جميع أنحاءِ النّفْس، فيكونُ مبثوثًا فيها، مُحاصِرًا لها، لا ينفكُّ عنها، والجمعُ بينه وبين الحزن، مِن باب التّدرّجِ مِنَ الأعلى إلى الأدنى، أو مِن بابِ عطْفِ المُسبَّبِ على سببِه، فالبثُّ سببٌ للحزن، أو مِن باب تفصيلِ الأنواعِ، فالبثُّ هو حزنُ الباطن المُتفرّقُ في جوانح النّفسِ، والحُزْنُ هو أثَرُه الظّاهرُ بالحُزونةِ والخُشونةِ والانقباضِ البادي على مَنْظَرِ الشّخصِ وخارِجِه. ويُطلق عليه أيضًا: (المماثلة)؛ لتماثُلِ كلمتَيِ (البثّ)، و(الحزن) في المعنى - وإن ليس على وجْهِ المُطابقةِ - واختلافِهما في اللّفظ.

جمَعَ بين البثِّ والحُزنِ لاجتماعِ كلَيهما، على يعقوبَ عليه السلام

### نُكتةُ تقديمِ البثِّ على الحزن:

قدّمَ البثَّ على الحزن في قوله تعالى: ﴿أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ابتداءً بالحُزْنِ الأكبرِ وهو البثُّ وانتهاءً بالحزنِ الأصغرِ منه، للتّنبيه على أنّ الحزنَ درجاتٌ بعضُها فوق بعضٍ، فَفَوْقَ كلِّ حُزْنٍ حُزْنٌ أكبرُ منه. والنُّكتةُ الدّقيقةُ في جعْلِ البثِّ هو المُقدَّمُ: مراعاةُ مُجاورةِ فعلِ الشّكوى ﴿أَشْكُواْ﴾ فقدّمَه ليكونَ المُجاورَ للفعل؛ لأنّ البثَّ أعظمُ وأشدُّ فاستحقّ أن يتصدّرَ عندَ الشّكايةِ منه، ولأنّ الشكوى - أصلًا - مُشتملةٌ على معنى البَثّ؛ لأنّ التّشكّي ذاتَه هو بَثُّ الشّكوى وإظهارُها، ولذا اقترن البثُّ بها فيقال: بَثَّ شكواه، فلاشتراكِ اللّفظين في هذا القدْرِ مِنَ التّطابُقِ المعنويِّ تجاوَرا لاتّحادِهما فيه. وقد يكونُ مِن تقديم السّببِ على المُسبَّبِ، فالبثُّ سببٌ للحزن كما مرَّ في الفقرةِ السّابقةِ.

الشّكوى بَثٌّ، والحزنُ العظيمُ بَثٌّ كذلك

### بَلاغةُ الاستعارةِ في لفظِ ﴿بَثِّي﴾:

في قوله تعالى: ﴿بَثِّي﴾ استعارةٌ تصريحيّةٌ، حيثُ شبّهَ الحزنَ الشّديدَ الذي هو هيئةٌ نفسيّةٌ بالحِمْلِ الثّقيلِ الذي لا يُطيقُه حامِلُه فيبثُّه ويفرّقُه تخلّصًا منه أو طلبًا للمعونةِ على حَمْلِه. فالتّشبيهُ حاصلٌ بين الهيئةِ النّفسيّةِ والصّورةِ الحسّيّةِ، والبثُّ هو المشبَّهُ به

الشّكوى تدلُّ على ثِقَلِ الحِمْلِ، وعدَمِ القُدرةِ على الكتْمِ

المذكورُ، والاستعارةُ أصليّةٌ، والمشبَّهُ محذوفٌ، وقرينةُ الاستعارةِ دلالةُ الحال. أو يقال: شبّه الحزنَ العميقَ في داخل النّفس، بالشّيء المبثوثِ المُذاعِ المُعلَنِ، بجامعِ الخروجِ عن حيّزِ الكتمانِ في كُلٍّ، وهذه الاستعارةُ تُعطينا تفريقًا إضافيًّا بين لفظَي (البثّ والحزن) في الآية، فإنّ البثَّ هو الحزنُ الذي فاض من داخل النفْس إلى خارجها بحيث صارَ كالبثِّ المُذاعِ من فرطِ شدّته وهَوْلِه، والحزْنُ هو أصلُ الهيئةِ النّفسيّةِ التي تتكوّنُ من جرّاءِ أسبابِه ودَواعيه[1].

### نُكتةُ العطْفِ في جملةِ ﴿وَأَعْلَمُ﴾:

جملةُ: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ معطوفةٌ على جملة مَقولِ القول: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ﴾، فهي داخلةٌ في حيّزِ القول، بغرَضِ استتْمامِه وبيانِ علّته، فكأنّها سببٌ للقصرِ، كأنّه قيل: شكواي للّه وحدَه لا إليكم؛ لأنّي أعلمُ مِنَ اللّه ما لا تعلمون، وفائدةُ العطفِ: الإيذانُ بأنّ رفْعَه شَكواه للّه وحدَه وحجْبَها عمّن سواه مبْنِيٌّ على ثِقَةٍ ويقينٍ وعِلْمٍ باللّه، وهو متّفقٌ تمامَ الاتّفاق مع أنّ الشّكوى للّه دعاءٌ وتضرّعٌ وعبادةٌ، فإذا كانت كذلك فلا بدَّ أن تكونَ على بُرهانٍ مِنَ اللّه، فدلّتْ جملةُ: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ على هذا البُرهانِ. وفي جملة المعطوفِ إيذانٌ بيقينِه بالفرَجِ وحسنِ العاقبةِ، فجمَعَ في حيّزِ القول بين الدّعاءِ والضّراعةِ وحُسنِ الظّنِّ بالخالقِ، ومفارقةِ الظّنِّ بالمخلوقين، ففي معنَى العطْفِ بالواو الجمْعُ بين المشروطِ وهو الدّعاءُ، وشرْطِه وهو العِلمُ باللّه وحُسنُ الظّنِّ في إجابتِه[2].

خيْرُ أمدادِ اللّه العِلْمُ، ومن علّمَه اللّه فتحَ عقْلَه وبصيرتَه

### معنَى الحرفِ ﴿مِنَ﴾ في سياق الآيةِ:

﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ بيانيّةٌ، أي: عِلْمٌ هو من لُطفِ اللّه ورحمتِه بي، فالكلامُ على حذف مضافٍ، أو ابتدائيّةٌ، أي:

العِلمُ مِنَ اللّه برهانٌ وعزيمةٌ، وهِبةٌ مِنَ المولى عظيمَةٌ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/42.
(2) صافي، الجدول: 13/52.

علمٌ ابتدأه الله وأوحاه إليّ من جهته بشأنِ حياةِ يوسفَ، ولا علْمَ لكم بذلك، إذْ هو علمٌ مِن آثارِ النّبوّةِ وأسبابِها[1].

### نُكتةُ إظهارِ لفْظِ الجلالةِ، في موضعِ الإضمارِ:

خيرُ زادِ العبدِ عِلمٌ ربانيٌّ يخصُّه الله به، ويكونُ فتحًا مبينًا

لم يقل (وَأَعْلَمُ منه مَا لَا تَعْلَمُونَ) اعتمادًا على الظّاهرِ قبلَه ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ بل قال ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ تعظيمًا لشأن العِلم الذي يعلمُه بإظهار مصدرِه وهو الله، فعظّم العِلمَ الّذي عنده بتقرير الألوهيّةِ وتمكينِها في النّفوس، بإظهار اسْمِ الذّات الجليلِ الذي يدلُّ على الإحاطة والكمال، فإذا كان عِلْمُ يعقوب ﷺ منه، فهو عِلْمٌ مضمونٌ ومُحقَّقٌ، وإذا كان كذلك فانتظارُ مآلِه وحصولِه حقٌّ واجبٌ، وليس مِنَ الجزعِ أو ممّا يَستوجبُ اللّومَ، ففي إظهارِ الاسْم الجليلِ ترهيبٌ لهم أن يَنْتَهوا عن أسلوبِهم معه في المُؤاخذةِ والعتابِ، وتعريضٌ بهم بتقريرِ أنّ ذِكْرَه ليوسفَ لم يكن عبَثًا بل كان عِلمًا منَ الله العظيمِ أوحاه إليه وألهمَه إيّاه بمُقاربةِ لقائِه[2].

### معنَى الحرفِ ﴿مَا﴾ في السّياقِ الكريمِ:

إذا خصَّ اللهُ عبدَه بتكريمٍ، فقد خصَّه بواسعِ فضْلِه العظيمِ

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إمّا موصولةٌ، وصلتُها جملةُ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ والعائدُ محذوفٌ، أي: أعلمُ الذي لا تعلمونَه. وإمّا نكرةٌ موصوفةٌ، وجملةُ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ صفةُ ﴿مَا﴾، أي: أعلمُ منَ الله (عِلمًا) أو (شيئًا) لا تعلمونَه[3]، علمًا واسعًا لا حدَّ له بما تفيدُه ما على العموم.

### نُكتةُ التّعبيرِ بالاسْمِ الموصولِ وصِلتِه:

الإبهامُ في العَطايا، يفيدُ عظَمَتَها وكثْرتَها

على اعتبار موصوليّةِ ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فالتّعبيرُ بالموصول المشترك ﴿مَا﴾ يدلُّ على الإبهام والتّعميم، تحفيزًا لهم على التّربُّصِ والتّرقُّب لِحكْم الله الذي تضمّنَه هذا المعلومُ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/42.
(2) أبو موسى، خصائص التّراكيب، ص: 247.
(3) صافي، الجدول: 13/52.

المُبْهَمُ المعبَّرُ عنه بالموصول، فدَعاهم إلى التّشوّفِ والاستشرافِ في قضيّةِ يوسفَ ﷺ وأخيه إلى عِلْمٍ وكشْفٍ جديدٍ في القضيّةِ لا إحاطة لهم به[1].

### نُكتةُ التّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

العِلْمُ يورثُ كثرةَ الصَّمتِ، وعدمُه يورثُ الهذرَ والثّرثرةَ

عبّرَ بالمضارع في قوله تعالى: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، لإفادة استمرارِ نفْيِ عِلْمِهم بما يعلمُه منَ الله، حتى يأذنَ الله بانكشافِه، وفي تركيب نفْيِ العِلْمِ عنهم بصيغةِ المضارعة إعذارٌ لهم في مراعاتِهم ظواهرَ الأمورِ دونَ بواطنِها، بانزعاجِهم منِ استرجاعِ أبيهم لذِكْرى يوسفَ ﷺ بعد تقادُمِها، فكأنّه قال: معذورون في استبْعادِكم أمْرَ يوسفَ في أن يعودَ، ويُعادَ اجتماعُكم واجْتِماعي به مرةً أخرى بعد دهرٍ طويلٍ؛ لأنّكم جاهلون بحقيقةِ ما أعلَمُ منَ الله آخذين بظاهرِ الأمر دون لُبابِه.

### نُكتةُ حذْفِ مفعولِ ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

الله مع أوليائِه بالتّأييدِ والإغناءِ والتّكريمِ

حُذفَ مفعولُ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ للاختصارِ والتّعميم، وهذا أنسبُ بالإبهامِ الذي أفاده الموصولُ في ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيتناولُ كلَّ جُزءٍ وكلَّ مرحلةٍ في العبورِ الزّمنيِّ الطويلِ في تلك القصّةِ، عنِ الحِكَمِ والتّدابيرِ ودقّةِ التّقديرِ الذي جرى فيها، فحُذِفَ المفعولُ لإفادة الفُتُوحِ الواسعِ الّذي أعلَمه الله به وجهلوه هم، لتعظيمِ جهلِهم بحذفِ المفعول، والّذي مفهومُه تعظيمُ عِلْمِه هو مِن جهة أخرى، وتعظيمُ الّذي أذِنَ له به، ومنَعَهُ إيّاهم، وهو الله العظيمُ سُبحانه.

### بَلاغةُ الانسجامِ والتّعطُّفِ في الآيةِ:

ألفاظُ القرآنِ عَذْبةٌ لتآلُفِها وحُسنِ نَظْمِها

في الآية: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: انسجامٌ في النّظم؛ لسهولة سبْكِه، وعذوبةِ ألفاظِه، وسلامةِ تأليفِه، ويَزيدُه حُسنًا التّعطّفُ في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾،

(1) فاضل السّامرائيّ، معاني النّحو: 1/131.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، لما فيه مِن شِكايةٍ إلى قاضي الحاجاتِ، ملفوظٍ بها، مُصرَّحٍ بعبارتِها[1].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### الحُزْنُ والهمُّ والغمُّ والبَثُّ:

الحُزْنُ: (حزن) أصلٌ يدلُّ على خُشُونةِ الشّيء وشِدَّةٍ فيه، ومِنْه (الحُزْنُ) وهو خشونةٌ في الأرضِ، وخشونةٌ في النَّفْسِ لِما يَلحقُها مِنَ الغمّ. وليس فيه قيْدُ فواتِ شيءٍ في الماضي حسَبَ ما اشتَهر في التّفريقِ بينه وبين الخوف، فهو بمعنى الشّعور بالألمِ والخشونةِ في النّفْس والغَمِّ ولا يتأتّى فيه قيدُ فواتِ شيءٍ إلّا بتكلُّف[2].

الحزنُ هو الأمارةُ الظّاهرةُ على الهمِّ والغمِّ والبثِّ، وجميعُها فصيحٌ

والهمُّ: (همَّ) أصلٌ يدلُّ على جَريانٍ وانسيابٍ وذَوبانٍ ودبيبٍ وما أشبهَ ذلك. و(الهَمّ): ما هَمَمْتَ به في نفْسِك، ويُطلقُ على الإرادة، لأنّ الإرادةَ هيئةٌ نفسيّةٌ تنسابُ في النّفْسِ وتدبُّ فيها فينْزِعُ الإنسانُ بسببِها إلى الأشياءِ، ومِن ذلك كلِّه: (الهَمُّ) وهو الحُزْن؛ لأنّه يَهُمُّ، أي: يُذيبُ الهِمّةَ ويَقْعدُ بها عن كمال الإرادةِ وتمامِ القصْدِ. فالهمُّ هو داءُ الهِمَّةِ وآفَتُها[3].

والغَمُّ: (غمّ) أصلٌ يدلُّ على تغطيةٍ وإطباقٍ، والغَمُّ: هو الحُزْنُ الذي يَغُمُّ القلبَ، أيْ: يَغشاه فيستُره ويُغطّيه. فالغمُّ حزنٌ يحجِبُ النّفْسَ عن فُسْحتِها وبراحِها فتنقبِضُ وتضيقُ، ويحجِبُ القلْبَ عن كامِلِ الوعْيِ والتّبصّرِ، فيزولُ أُنْسُه ونشاطُه ويَكَلُّ ويَعمَى[4].

والبَثُّ: هو تفريقُ الشّيء وإثارتُه بنشْرِه وتفتيتِه، أو بإظهاره

(1) عفيف، الشّامل في بلاغة القرآن: 2/93، وفنّ الانسجام: هو أن يكون الكلام متحدّرًا كتحدّر الماء المنسجم، حتى يكون للجملة من المنثور وللبيت من المنظوم وقعٌ في النّفوس، وتأثيرٌ في القلوب.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حزن).

(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (هم، همم).

(4) ابن فارس، مقاييس، اللّغة، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (غم، غمم).

وإذاعتِه، وأطلِقَ على الحُزْنِ الشّديدِ والغَمّ العظيم؛ لأنّه مبثوثٌ في النفْسِ منثورٌ في أنحائِها، ولأنّه مِنْ ثِقَلِه يَبثُّه صاحبُه ويُظهِرُه لغيرِه، ولأنّ الحزنَ الثّقيلَ تُلتمَسُ فيه المعونةُ عليه فكأنّه يُبَثُّ ويُفرَّقُ على من يتحمّلُه مع صاحبِه إعانةً له وتخفيفًا عليه. ولِأنّه إذا اشتدّ على النّفْس بَثّ فيها، أي: فَتَّ في عزْمِها وفَسَخَ اجتماعَها فأحالَها إلى تَفارِيقَ وأجزاءٍ مُتَفَكِّكةٍ مِنَ الوَهَنِ والضَّعفِ، فهو الحزْنُ الذي يجعل المرءَ أشتاتًا[1].

والفرقُ الدّقيقُ بين هؤلاء الكلماتِ: أنّ في كلّ واحدةٍ منها ما ليس في الأخرى، فالحُزنُ هو خشونةُ النَّفسِ وجفافُها منَ الفرَح، والهَمُّ هو ذَوبانُ الحُزْنِ في النَّفْس، فتنسابُ الهِمّةُ والإرادةُ فيها، فيُحالُ بينها وبين تمام القصْدِ وسلامتِه. والغمّ هو الحزنُ الذي يغطّي صفحةَ القلب فيُحاطُ بالحجابِ الذي يُعطِّلُ اعتدالَه ويُؤذي حيويَّتَه، فيُظْلِمُ النّفْسَ ويُوشْئِمُها ويَضيقُ بها.

والبَثُّ هو الحزْنُ الذي لِكثرتِه فاضَ عن داخلِ النّفْسِ إلى خارجها، فانتشَرَ وظَهَر، وذاع وشاع، وتفرّقَ وتوزَّعَ، وفَرَّقَ وشَتَّتَ. وبذا فهو أنسبُ لشدّةِ الحزن الذي تملّك قلبَ نبيِّ اللّه يعقوبَ على فقد أولادِه ولا سيّما يوسفَ عليه السلام لطول مدّةِ فقدِه، وانقطاعِ خبرِه.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بث، بثث).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 23 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-20-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»